مجلة البدر المجلد 10 العدد 10سنة 2018 ISSN 2170-0796

هندسة القصيدة البصرية في شعر محمد بنيس
ديوان في اتجاه صوتك العمودي اختيارا

فغلول حورية و الأستاذ الدكتورسعيدي محمد
مخبر أعلام الجزائر في اللغة خلال العهد العثماني 1800-1718م.
جامعة مستغانم forloul.houria@yahoo.fr

الملخص:

يعدّ ديوان (محمد بنيس) في **اتجاه صوتك العمودي**، إضافة كبيرة في الشعر المغربي الحديث، وبصمة فريدة من نوعها تألق من خلالها (محمد بنيس) كشاعر، متخطيا بها منهاجا تقليديا ساندا من قبل، حيث أصبح هذا الديوان حلقة جديدة من مسيرة(بنيس) الشعرية لن نقوم في هذه العجالة بدارسة شاملة مستوفية لمسيرة الشاعر برمتها، بل إننا سنقتصر على ديوانه **'في اتجاه صوتك العمودي**، وسنتطرق لجانب متميز، هو الشكل الذي رسم به الديوان، وذلك من خلال استعانت بالجوانب الجمالية الشكلية للخط العربي. والرسوم التشكيلية التي كُتب بها؛ هذا ما يدل أن الشاعر (بنيس) يتعامل مع الفن الشعري كونه مرتبطا وملتصقا بالفنون التعبيرية المختلفة، وخاصة منها الفن التشكيلي الذي يستغله ويستفيد من إمكاناته التعبيرية ليعطيها أبعادا شعرية قادرة على نقل مشاعره وأحاسيسه.

الكلمات الدالة : القصيدة البصرية ، محمد بنيس، الشعر المعاصر، قصيدة النثر، الحداثة.

Résumé :

Dans la direction de votre voix verticale, poéme de Mohammed Bennis est un excellent ajout à la poésie marocaine moderne et une empreinte unique de Mohammed Bennis en tant que poète, surpassant une plate-forme traditionnelle Sanda. les nouilles ne le feront pas dans cette urgence une étude approfondie de satisfaire la mars du poète dans son ensemble, mais nous allons nous limiter à sa collection de poèmes dans la direction de votre voix verticale, et nous allons chercher du côté d'une distincte, il est la figure qui peint par la Cour, par les aspects engagés de

la calligraphie arabe formelle esthétique. Amende et des frais est écrit, ce qui est la preuve que le poète (Bennis) traite de l'art poétique comme étant associé et collé aux différents arts expressifs, en particulier, y compris art, qui est exploitée et profiter de l'expression potentiel donne les dimensions de la poésie capable de transmettre ses émotions et ses sentiment.

يبدو أن (بنيس) وهو يكتب القصيدة، يتصور لها في نفس الآن "معمارا يبنيه لها، ليكون نابعا من مخاضية القصيدة، رافضا بذلك معمارية القصيدة القديمة بشكلها العمودي الجاهز الرث الذي يجعل منها وعاءا يقبل كل ما نصبُ فيه دون أن يؤثر ذلك من قريب أو من بعيد على شكله إن الوعاء (البنيسي) تشكله أنفاس (بنيس) نفسه وإيقاعاته، ولذلك فلا ينتظر منه أن يتحدد في قالب معين مفروض من الخارج، على أنه يتغير ويتبدل وفق الحالة النفسية والفكرية والغنية لصاحبه. وهكذا تظهر القصيدة عند (بنيس) في أشكال متعددة وصور مختلفة تأتي أحيانا متموجة، وأحيانا دائرية ومثلثة أو معينة (نسبة إلى المعين كشكل هندسي) تناسب المضمون المراد التعبير عنه وإبلاغه"[i] لذلك فان التجربة التشكيلية في الديوان جزء من العملية الإبداعية ككل، وستأتي بأمثلة تزكي هذا القول:

يقول في قصيدة "قادمون من الحلم" من ديوان في اتجاه صوتك العمودي :

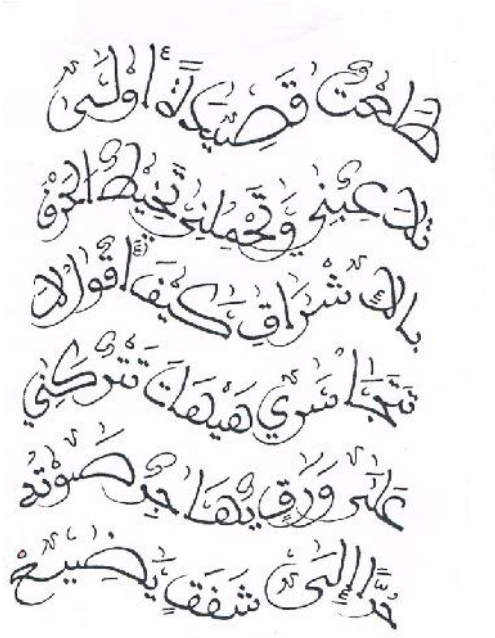

[ii].

إن (مُحَمَّد بنيس) يكتب شعره، وبداخله اهتزازات انفعالية واضطرابات نفسية، ويبدو كأنه يلاحق القصيدة في تموجاتها ويطاردها، ويريد الإمساك بها، إلا أن العكس يحدث حيث تحبسه القصيدة في قضبانها، فيصبح ورقا ساكنا فرِحا وراضيا بسجنه، متلذذا بعذابات صوته وحرفه. إن (بنيس) بخروجه إلى الميدان ومعانقته القضايا الإنسانية في الحياة يمسح عنه، "وصمة عار الرومانسية التائهة التي عفرت في وجهه في ديوان (ما قبل الكلام)، وقد عانى في سبيل الوصول إلى قصيدته– الأولى (الفاتحة) التي يتعرف فيها على الميدان الذي لم تكن الطرقات إليه مفروشة بالأنغام الذاتية مزينة بالزخارف اللفظية. إن الطرقات إلى الشعر الحقيقي وإلى ميدان النضال الجماهيري تحمل في أحشائها عذابات النضال وتضحياته، أي ضريبة الإجبارية المفروضة تاريخيا على الفقراء والمستَغلين وفي مقدماتهم العمال والمثقفون والطلبة[iii] ، إنها الفئات الاجتماعية التي صنعت الثورة الشعبية وحققتها. فهم يؤلفون الحلقة التي تؤدي إليها كل طرقات التحرر ورأى (بنيس) وضع السطور الشعرية التي تعبر عن هذه الفكرة على شكل دائري يرمز به إلى تراص هذه القوى الفاعلة في المجتمع.

يقول في قصيدة: "وردة الوقت:

أصبحت هذي الطرقات

iv

كتبي
ودواتي المشتعلة

هنا تبرز أهمية التعبير التشكيلي في ديوان (في اتجاه صوتك العمودي) واتخاذه من طرف الشاعر كأداة تعبيرية، إضافة إلى اللغة والإيقاع الشعري، نلاحظ الطرقات (الكلمة المحور في القصيدة) قادمة من أعماق القلب ومنطلقة من أعماق الذات الشاعرة، لذلك وجد بنيس ضرورة وضعها في وسط القصيدة بشكل دائري دلالة على الوضعية – الجوع والغضب– وحتمية خروج فئات المجتمع إلى الطرقات حاملين مشعل الثورة والعصيان هدفهم التحرر .

وقد تنوعت الكتابة الخطية، عند (بنيس) في ديوان (في اتجاه صوتك العمودي)، حيث ظهر شكل حشد في العديد من قصائده، حيث يكتب عبارة من القصيدة، بحجم أكبر من الكلمات المتبقية وبلون داكن أسود كما هو كائن في القصيدة التالية:

أخذت رحلة التصاهر إذن في العصر الحديث، أبعادا نفعية وإبداعية وكان مزجا بين الشعر والرسم، ونجد ثلاثة أنواع من الرسم يمكن دراستها والكشف عنها في ديوان (مُحَمَّد بنيس) في (اتجاه صوتك العمودي)هي:

أ–التشكيل البصري في الرسم الهندسي:

نعني بالرسم الهندسي: "الشُكول أو الرموز التي تنتمي إلى علمي الهندسة والرياضيات" [vi] ؛وتُوظَف هذه الرموز الهندسية(الثلاثية و الرباعية و الدائرة) في النص الشعري بُغية توليد دلالة بصرية. و تعدد هذه الرموز، فكل منها، يؤدي دلالة يريدها الشاعر لتعبِر عن انفعالات داخله ومن بينها:

الخط المضلع، الخط المنحني، المثلث، والشُكول الرباعية، وتتكون هذه الأخيرة من أشكال أو شكل هندسي من أربعة أضلاع مثل: المربع والمستطيل ومتوازي الأضلاع، ومن النصوص المبينة بتقني الشكل الرباعي نص (مُحَمَّد بنيس) بعنوان: "شمس وسماء"

شَمْسٌ وَسَمَاءٌ

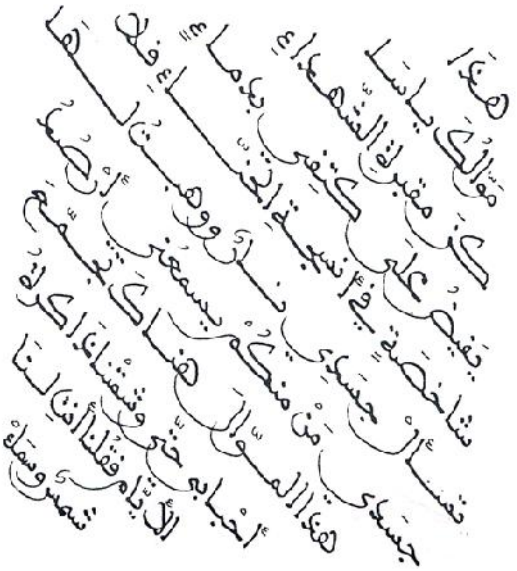

[vii].

إن تأمل النص السابق يوجه بصر المتلقي مباشرة نحو رسم خطوط تصل بين النقاط الرئيسية لزواياه الأربع مما يفضي به إلى الشكل التالي:

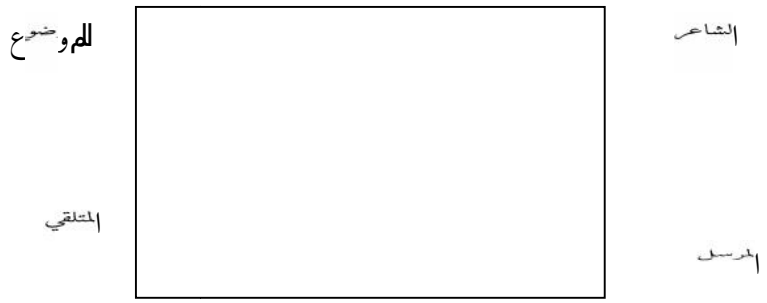

بمعنى أن بصر المتلقي إزاء القصيدة يرتبط مبارة بشكل المربع، الذي يتميز بتساوي أطوال أضلاعه الأربعة وانتظام شكله العام، وقد عمد الشاعر إلى توظيف تقنية المربع في النص ليجسد للمتلقي انتظام وتساوي درجة الحوار بين الشاعر والبشرية تجسيدا بصريا.

يقول في افتتاحية ديوان (في اتجاه صوتك العمودي):

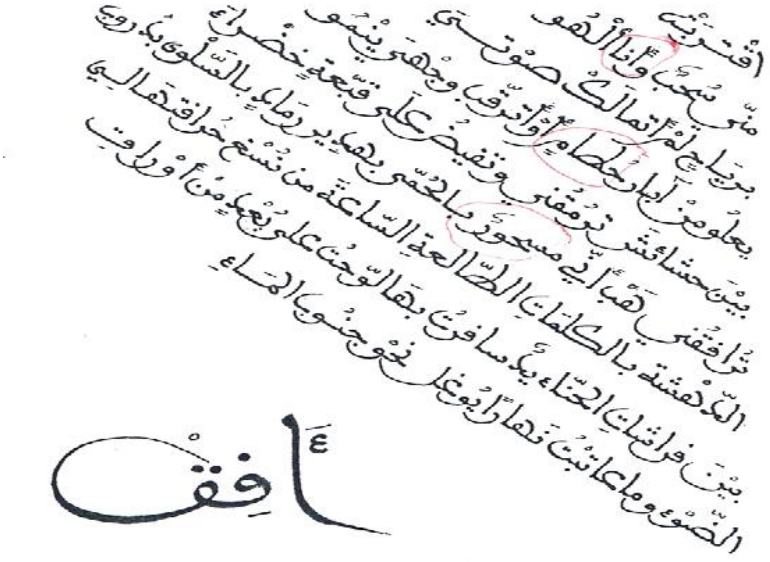

viii

يعد المثلث من الأشكال الهندسية شيوعا في الشعر العربي الحديث، وكما سبق في المثال الماضي، وللمثلث دلالات متعددة، وبمجرد التمعن في النص السابق سيوجه بصر المتلقي نحو رسم خطوط تحاكي الخطوط الرئيسية لتصل بين النقاط الرئيسية لزواياه الثلاث مما يفضي به إلى الشكل التالي:

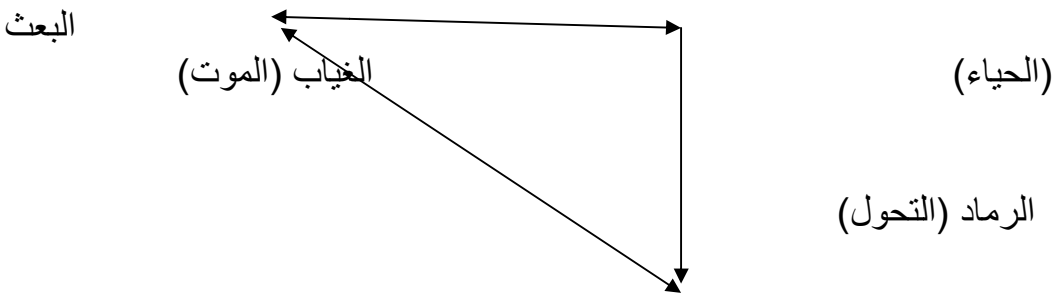

– التشكيل البصري والرسم الفني:

الرسم الفني هو الرسم التشكيلي الذي يعتمد على استخدام الريشة والألوان، أما الرسم بالشعر فنعني به، أن يرسم الشاعر بمفردات النص رسوما معينة من أجل توليد دلالة بصرية "[ix] ، ومن النصوص المبينة بتقنية الرسم بالشعر، نص (مُحَمَّد بنيس) من نفس الديوان، حيث تتوسط النص كلمة (**الدم**) في الصفحة "ينزف ويجري في عرارين الكلمات والسطور الشعرية التي تنبعث منها، بل إن الكلمة في صورتها التشكيلية تؤكد حضورها ومركزيتها بالنسبة للجملة الشعرية كشكل حيث تصدم نظرتنا الحسية ووعينا وانفعالنا بطريقة كتابتها بحروف بارزة مما يعمق دلالاتها ويكشفها بالمعاني والمفاهيم" [x]

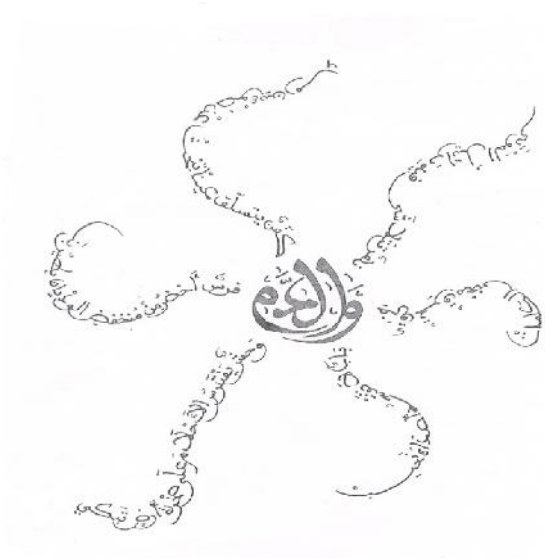

[xi].

لم يعد الدال في الشاهد الشعري محصورا في كلمة **الدم**– بحد ذاتها وإنما أضيفت إليه الصورة التشكيلية التي جاءت عليها حيث يصرح الشعر بالتشكيل في نسق دلالي واحد يحملنا إلى أعتاب الميتولوجيا بعالمها الغريب الموحي، وهكذا تكتمل الصورة الأسطورية في الديوان "باستغلال الشاعر للطاقات الموحية المعبرة في أدواته (اللغة–الصورة)" [xii].

من هذه الزاوية، تكون كلمة (**الدم**) أسطوريتها على مستوى الرسم التشكيلي الذي وضعت عليه، كما تثير الصورة التشكيلية للدم وضعية الحرية التي أعطاها الشاعر للقارئ كيف يفسر سطور المقطع عبر فهمه الخاص، من هذه الزاوية تكون كلمة "**الدم**" أسطوريتها على مستوى الرسم التشكيلي الذي وضعت عليه، فهي تثير وضعية

الحرية التي يعطيها الشاعر للقارئ كي ينضد المقطع حسب فهمه الخاص والرؤية التي كونها عبر القراءة التامة للقصيدة، فالدم هو المنبع والأصل ولنا أن نسيله ابتداء من: "باب يكتب في صدر الأطفال" أو من "ورد يتسلقني" بحيث يشارك القارئ بدوره في العملية الابداعية ويعيد تركيبها حسب مفهومه وقناعته الشخصية، فيصبح مبدعا وناقدا في نفس الوقت؛ إن القراءة لم تعد استهلاكا مجانيا الأثر بل إنها أضحت أطروحة في جدلية الأثر والجمهور، فالشاعر يكتب للجمهور واضعا في حسابه وآفاقه قدرة الجمهور على عقلنة رؤياه وتمحيص الخفايا الكامنة بين سطورها التي لم يتصورها الشاعر نفسه.

– أشكال القصائد في ديوان **في اتجاه صوتك العمودي** كلها تبدو لافتة للعين، "وإثباتها بهذه الطريقة لا يعني انتزاعها من نسقها، كما يفعل البعض في تناولهم لها، وإنما هي عملية إجرائية تساعدنا على تنظيم القراءة كي لا نعيد كتابة النص مرات عديدة. وقد تنتاب القارئ رغبة في تناولها تتابعيا كما وردت في الديوان، ولعنوان الديوان علاقة بهذه المسافة، إذ يروم من خلال بنيته التخاطبية تحدي عناصر العرض الأولية، المخاطب المشاهد، اتجاه المسافة والحركة، صوتك اللغة والإيقاع، العمودي / المجال وفضاء المشهد" [xiii].

* وقد تجلى التشكيل النصي بأشكال مختلفة أيضا: يقول في قصيدة "ذات صباح"

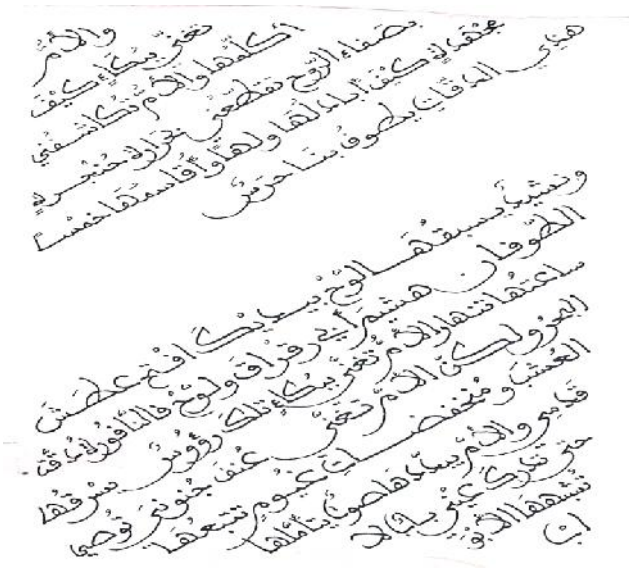

[xiv]

xv

الأمثلة الثلاثة السابقة، كلها تمثل القصيدة البصرية، أو كما تسمى قصيدة العين، والتي مهما اختلفت التصورات النقدية في تسميتها، ومهما كانت مبرراتها النظرية والنصية موسومة بإشكالية التأصيل في الشعر العربي وغير العربي تحت غطاء الظاهرة التشكيلية في الشعر. "فلا يهمنا إن كانت في الشعر العربي ظاهرة تاريخية، تجد نسبها في انتقال القصيدة من الرسم بالكلمات – باعتباره بداية التقاء ضمني وتقارب غير نوعي بين الشعر والتشكيل – إلى اعتماد الملمعات كحالة تشكيل لتداخل اللغتين العربية والفارسية، ثم انتقالها إلى التوشية التي جعلت البيت من الشعر حلية من لوحة أو صورة، وبعدها انتقلت إلى تشغيل الخط العربي ضمن الأشكال الهندسية وتداخلها لمطاوعة الحرف بامتداده واتصاله بالحروف الأخرى" [xvi]. إن ممارسة (بنيس) في **ديوانه في اتجاه صوتك العمودي** هي قبل كل شيء إعادة كتابة ولذلك فهي اختبار حيوي لفعل الكتابة ذاته في الزمن واللغة والذات، فتصبح علاقة الشكل باللغة هي علاقة مصاحبة، فيدعو لاستثمار المكان استثمارا بنائيا منطلقا من الكتابة.

3– التشكيل البصري والرسم الخطي:

ظهرت التقاطعات الفنية بين الشعر والخط، من خلال ما أبدعه الخطاطون من أنواع خطية على مستوى عال من الجمالية والتجريدية، إن الحروف بأشكالها وهيئاتها المتنوعة هي "المكون الأساسي للخط، وقد التفت الشعراء منذ القدم إلى القيمة البصرية للحرف العربي، وكل ما لا يمكن إدراكه فيه إلا بالبصر، فأبدعوا ألوانا من القصائد (الكتابية) التي تعتمد على المظهر البصري للحرف" [xvii].

ومن النصوص التي وظفت نوعية الخط لتسجيل دلالة بصرية مُحَّد نص (لمحمد بنيس): "أمواج" من ديوانه: في اتجاه صوتك العمودي.

ل يقول في قصيدة:"وردة الوقت"

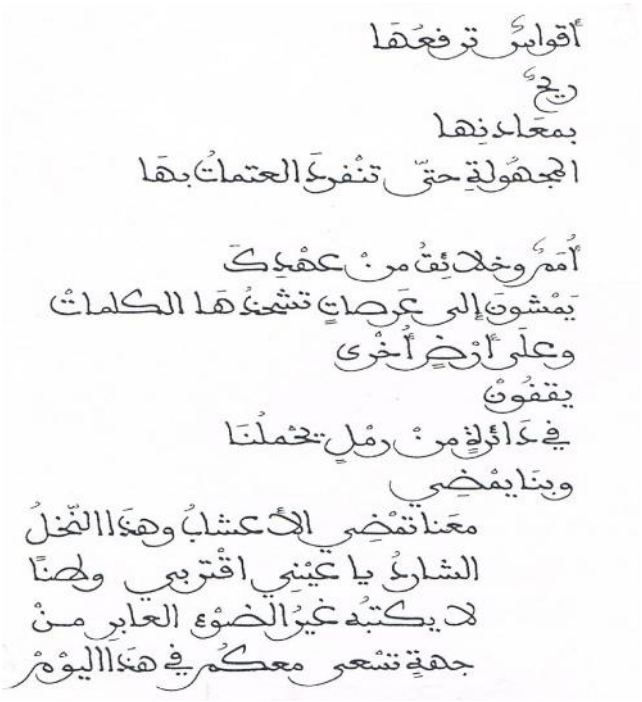

xviii

إن الشاعر لا يهدف من استعمال الخط المغربي سوى تسجيل دلالة محددة تتمثل في (المباهاة) الثقافية المنعكسة من الهيئة لنوعية الخط. هذه الدلالة تحديد الشاعر لسبب كتابته هذا النص وديوانه (**في اتجاه صوتك العمودي**) بالخط المغربي، كما أنه يعيد إحياء تاريخ الخط المغربي القديم و استخدامه في شعره، مؤكدا ذلك بقوله في بيانه الشعري(...و يعود الخط المغربي).

xix

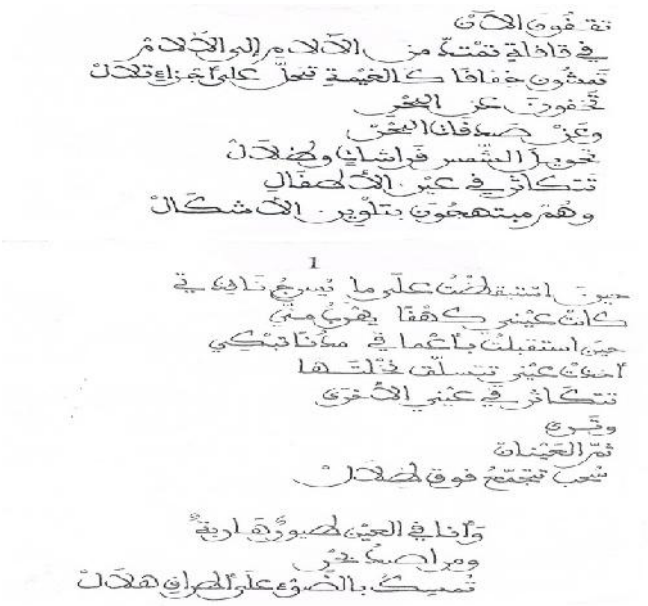

نلحظ أن تحليل خط اليد أقدر من الطباعة إلى تمثيل الدلالة البصرية وسمات الأداء الشفهي للنص المخطوط و قد استطاع بذلك الشعر المعاصر، أن يقفز إلى هذه المرحلة، ويخرج من براثين العمودية الجامدة المتصلة، ويتفتح أكثر فأكثر على النقد. وقد برز هذا بصورة واضحة جلية في معمارية القصيدة المعاصرة والشكل الذي صورت به الصفحة البيضاء. ولم يكن الشاعر المعاصر يقصد إلى التزيين والزخرفة قدر ما يتخذ منها وسائل وإمكانيات جديدة تضاف إلى الأدوات الاعتيادية المعروفة، بل إن الفراغ نفسه الذي يقوم بوظيفة تعبيرية في اللوحة التشكيلية أصبح "يوظف أيضا في الشعر الحديث، حيث أن الشاعر وهو يكتب كلمة واحدة مكبرة أو مصغرة في السطر سواء في أوله أو وسطه أو آخره أو على هامش الجملة لا يقصد بالطبع فقط إلى التزيين والديكور الفارغ من كل

xx

مضمون، وإنما يتوخى جمالية تشكيلية أعمق في تعبيرها ودلالتها"

الإحالات و الهوامش :

[i] – بن داود عبد اللطيف، "في اتجاه صوتك العمودي"، مجلة الثقافة المغربية"، العدد 19، 01 يناير 1981، دار توبقال.ص 79.

[ii] –محمد بنيس ، الأعمال الشعرية(ج1)، قادمون من الحلم ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان،2002،ط1.ص 245.

[iii] – بن داود عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 80.

[iv] – محمد بنيس، الأعمال الشعرية(ج1).ص266.

[v] – محمد بنيس، الأعمال الشعرية (ج1)، ص 249.251

[vi]– محمد الصفراني، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث(1950–2004)، النادي الأدبي بالرياض والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2008، ص 33.

[vii]– محمد بنيس،الأعمال الشعرية (ج1).ص288.

[viii]–محمد بنيس، المرجع السابق.ص 243.

[ix]– محمد الصفراني، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث، ص 65

[x]– بن داود عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 81، 82.

[xi]– محمد بنيس،الأعمال الشعرية(ج1).ص291

[xii]– بنداود عبد اللطيف، المرجع السابق.ص82

[xiii]– عز الدين الشنتوف،شعرية محمد بنيس الذاتية و الكتابة،دار توبقال، الدار البيضاء،ط1، 2014.ص271.

[xiv]– محمد بنيس ،الأعمال الشعرية(ج1).ص.281

[xv]– محمد بنيس، الأعمال الشعرية (ج1)، ص282.

[xvi]– عز الدين الشنتوف، شعرية محمد بنس الذاتية والكتابة، ص 266.

[xvii]– محمد الصفراني، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث، ص 107.

[xviii]– محمد بنيس ،الأعمال الشعرية(ج1) .ص276

[xix]– محمد بنيس ، الأعمال الشعرية(ج1). ص255، 297

[xx]– بن داود عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 83.

قائمة المصادر و المراجع:

1)– بن داود عبد اللطيف، "في اتجاه صوتك العمودي"، مجلة الثقافة المغربية"، العدد 19، 01 يناير 1981، دار توبقال.

2)– محمد بنيس ، الأعمال الشعرية(ج1)، قادمون من الحلم ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان،ط1ن،2002.

3)– محمد الصفراني، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث(1950–2004)، النادي الأدبي بالرياض والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2008

4)– عز الدين الشنتوف،شعرية محمد بنيس الذاتية و الكتابة،دار توبقال، الدار البيضاء،ط1، 2014